ترجمة كتب الأطفال في البلاد العربية

سوريا نموذجًا

أنطوانيت القس(*)

الترجمة هي اليوم أكثر من أي وقت مضى، إحدى الطرق إلى الثقافة العامة وأداة لتطوير اللغة العربية بحيث تكتسب مرونة التواصل مع اللغات الأخرى، وتخليصها من فائض الشاعرية، وإغناء دورها بوصفها أداة للتحليل، ولتكوين العقل النقدي الذي يتمتع بمعرفة تمكِّنه من الملاحظة وإدراك الحقائق بسرعة. إن تضافر الجهود في الترجمة يعني التمرس بأسباب الفكر العلمي، وتكوين رؤية واضحة عن عالم اليوم، لنشق طريقنا إلى فكر أصيل قادر على أن يتمثل الحضارة الحديثة، ويكوِّن لذاته رؤية عربية واضحة. إن الترجمة في الوطن العربي نقلته من مرحلة التلخيص إلى مرحلة التفكير بمقولات عربية ومن موقع عربي.

كانت الأهداف من الترجمة:

١ـ تلبية حاجة المدرسة (قراءات متممة).

٢ـ معرفة الحضارات الأخرى.

٣ـ التعرف إلى العلوم الحديثة: (في قوانينها ووقائعها الثابتة والتعرف على الطرق الأولى التي مكَّنت العالم من وضع الحقائق والقوانين).

خلقت الترجمة تقاليد علمية وفكرية كان لها أبعد الأثر في الحضارة الإسلامية، ومن ثَم في الحضارة الإنسانية. وخاصة الترجمة العلمية التي شهدها عصر محمد علي في مصر (١٨٠٥ـ ١٨٤٩). أي أنها بلغت أرقى تطورها في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ثم تراجعت لأسباب ليس هنا المجال لذكرها.

هذا عن الترجمة بشكل عام. أما فيما يتعلق بالترجمة التي تتوجه للأطفال، فإنها تكتسب أهمية

(*) وزارة الثقافة السورية.

خاصة كونها حاجة ضرورية وحضارية، بالنسبة للعلوم والثقافة بشكل عام، والأدب بشكل خاص، بوصفه أحد المكونات الأساسية التي تشكل الثقافة لدى كثير من المجتمعات الإنسانية. وبما أن أدب الأطفال فن حديث قياسًا بالأدب بشكل عام، ولاسيما في الوطن العربي ـ فالضرورة تقتضي العمل على إغنائه وتطويره ـ حيث بدأت ترجمة أدب الأطفال في الوطن العربي (ترجمة ـ اقتباس) في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، كما في مصر ولبنان وسوريا.

الرواد في الترجمة وأول الكتب المترجمة للأطفال:

بدأت أولى الترجمات في مصر عام ١٨٧٠، فقد ترجم رفاعة الطهطاوي "حكايات الأطفال" و"مغامرات تليماك".

تبعه محمد عثمان جلال في ترجمة حكايات "إيسوب" الإغريقي الذي عاش بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. ونُشرت هذه الحكايات تحت عنوان: "العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ"، وهي ٢٠٠ حكاية.

ـ تلاه أحمد شوقي في ترجمة "لافونتين".

ـ ترجم الآباء اليسوعيون بعض الكتب ونشروها في بيروت ١٨٨٣.

ـ وترجمت هنا كسباني قصصًا للأطفال في نهاية القرن التاسع عشر وصدرت عن مطبعة الأمريكان دون تاريخ.

ـ ترجم رزق الله حسون كتاب "النفثات".

ـ تلاه جرجس شلحت في ترجمة كتاب "من أمثال فنلون".

ـ ثم قدم إلياس قُدْسي ترجمة لـ"لافونتين".

وتوالت الترجمات مثل حكايات "إلاما إوزه" للفرنسي شارل بيرُّو من القرن السابع عشر. وللكاتبة الإنجليزية أينيد بلاتيون والدانمركي هانز أندرسون من القرن التاسع عشر، والكاتبة الفرنسية صوفي دى سيغور من القرن الثامن عشر. والأخويْن جريم الألمانيين "حكايا الأطفال والبيوت"، ولويس كارول "أليس في بلاد العجائب"... الخ.

استمرت حركة الترجمة في الوطن العربي لتشمل مصادر متعددة من أنحاء العالم من (أسبانيا، الصين، الاتحاد السوفيتي، أمريكا...) وغيرها. وجاءت هذه الترجمات بجهود فردية ودور نشر خاصة ـ أو جهود مؤسسات، وساهمت دور النشر الأجنبية في نشر الترجمات إلى العربية وتوزيعها، مثل مؤسسة ليديبرد الإنجليزية، ومؤسسة فرانكلين الأمريكية، ودار التقدم في موسكو.

كما أن بعض النصوص تُرجمت ليس عن اللغة الأصلية، بل عبر لغة وسيطة (الفرنسية والإنجليزية)، وهذا أفقدها الكثير من جمالها ودقتها وخاصة النصوص الشعرية.

تأثيرات الترجمة:

الحكايات هي رسالة موجهة إلى وعي الطفل ولا وعيه، فهي تتوجه أولاً إلى " أنا " الطفل وتسهل نموه من خلال تأهيل الطفل ودفعه باتجاه الكينونة الإنسانية، وذلك بهدف:

١ـ إشباع دوافع الطفل وحاجاته الانفعالية من حب الاستطلاع، وغرس القيم الأخلاقية، والتربوية، وتنمية روح التخيل والتذكر والانتباه، والحكم والتعليل والاستنتاج، وإمداده بالمعلومات وشحذ عقله وفكره وتعليمه. بالإضافة إلى الأهداف الترفيهية والأهداف الفنية (إطلاق الطاقات الإبداعية والخيال).

٢ – تعزيز القيم الإنسانية للوصول إلى تحقيق نمو متكامل للطفل.

ولكن إذا ألقينا نظرة على ما قُدِّم للطفل العربي من ترجمات، واستخلاص بعض القيم مما قدم نلاحظ انعدام التوازن بين حاجات الطفل وما يقدم له.

فغالبية ما تُرجم هي حكايات ـ قصص ـ مسرح ـ شعر على حساب الكتب التي تحمل القيمة العلمية، أو الكتب التي تجعل الطفل يعي حقوقه وموقعه في المجتمع، أو الكتب التي تنمي قدرته على الفهم والحكم، وترجمة الرموز إلى مشاعر وآراء تُغْني أحاسيسه وتسهم في تنمية شخصيته وتدريبه ليكوِّن رأيًا فيما يقرأ.

لذلك، نستطيع القول إن الطفل العربي تأثر بالقيم والموضوعات التي قدمها الأدب المترجم، وهذا التأثير كان له: وجه إيجابي ووجه سلبي.

الوجه الإيجابي: هو تعريف الطفل بعادات وتقاليد الشعوب الأخرى، وأنماط حياتهم المختلفة. وعلاقة الأطفال وتفاعلهم بمحيطهم وبيئتهم المختلفة عن عالم الطفل العربي. وتعزيز بعض القيم الإنسانية والاجتماعية والمعرفية، بالإضافة إلى الاستمتاع بالحكايات الشائقة والشخصيات القريبة من عالم الطفل.

الوجه السلبي: هو تركيز بعض الكتب المترجمة على العوالم الغريبة والعنف والعدوان والتمييز العنصري والعرْقي والخرافات. وكذلك توجه بعض الجهات إلى ترجمة نصوص لدول معَينة تخضع لمنطق إيديولوجي معين.

ويختلط أحيانًا السلبي والإيجابي في توليفة جميلة محببة كما في حكايات " أليس في بلاد العجائب " للكاتب لويس كارول، حيث تحمل هذه الحكايات الكثير من التعاطف الإنساني وفي

نفس الوقت تحمل قيمًا سلبية، كالقلق والخوف والاضطراب من الظواهر الخارقة والأشباح وعوالم باطن الأرض التي تجري فيها أحداث الحكايات.

ولكن لا نستطيع أن نغفل ما حملته الكتب التي استطاعت التخلص من هذا المأزق لأنها عُنيتْ أساسًا بالوظيفة التربوية من خلال المغامرات، وتعزيز قيم الحب والمعرفة العلمية والتعاون والتسامح وغيرها من القيم الإيجابية التي هي من ضرورات تكوين القاعدة النفسية والاجتماعية للطفل.

التأثير اللغوي:

تباينت لغة الترجمة بين ما قُدِّم في بدايات القرن العشرين وما قدِّم في النصف الثاني منه. في المرحلة الأولى كانت العناية والحرص على سلامة اللغة العربية ودقة الترجمة هي الهم الأول للمترجم. أما في النصف الثاني فقد انحسر الاهتمام باللغة وازداد عدد المترجمين؛ مما أدى إلى تأثر الترجمة بالقدرة اللغوية للمترجم وثراء لغته وثقافته. وظهر تأثير التكوين اللغوي للمترجم على نص لغة الهدف الذي هو الطفل. وعلى العموم، فقد بدأت لغة الترجمة في الترجمات الحديثة تقترب من لغة الطفل العربي بسبب الحرص على معايير السلامة اللغوية، والرغبة في إيصال المعاني بدقة.

ولكن الشكوى لم تنقطع في الأوساط الثقافية من لغة بعض المترجمين. لذلك نقول إن على المترجم أن يتمتع بالقدرة المتوازنة فيما يتعلق بإتقان اللغتين معًا: المنقول عنها والمنقولة إليها. وكذلك الابتعاد عن العامية أو الألفاظ الغريبة القاموسية مما يصعب على الطفل فهمها ويعيقه عن تعلم اللغة الفصحى. وكل ذلك يظهر تأثيره سلبًا أو إيجابًا لاحقًا على الحصيلة اللغوية للطفل.

(وعدم الاهتمام هذا يُلاحَظ بشكل عام في المجلات التي تنقل عن اللغات الأخرى).

والجدير بالذكر هنا أن المؤسسات التي تعمل في حقل اللغة واللسانيات موجودة بشكل أساسي في دمشق والقاهرة وبغداد.

منذ خمسينيات القرن العشرين، أحدثت معظم الأقطار العربية مؤسسات رسمية تُعْنى بالترجمة ونشرها في إطار وزارات الثقافة، والإعلام، والتربية، والتعليم العالي، والجامعات، والمجالس العلمية والأدبية والهيئات. بالإضافة إلى دور النشر الخاصة التي هدفها ثقافي وتجاري معًا.

وكما أسلفنا، فإن معظم ما تُرجم كان في حقل القصص والروايات والأساطير، وكان الهدف من ترجمتها: التسلية ـ الفائدة العقلية ـ العبرة الأخلاقية.

أما الكتب العلمية ـ والفنية ـ وكتب الخيال العلمي ـ موضوعات البيئة . . . فلم تتوجه إليها الترجمة إلا في السنوات الأخيرة وبمحاولات متواضعة وقليلة جداً قياساً بما يُنشر من كتب أدب .

التجربة السورية

إن الطابَع العام لثقافة الأطفال في سورية في مجال الترجمة هو الطابع الأدبي وليس الطابع العلمي . وهذا يؤدي إلى عدم توازن في القيم المطروحة ، والذي يتجلى في تفوق الحقائق الاحتمالية وضعف الحقائق اليقينية . مما يشير إلى أننا نكون ثقافة الوجدان ، ونكاد نهمل ثقافة العقل . فننمي جانباً من شخصية الطفل على حساب الجانب الآخر الذي لا يقل أهمية عنه في البناء السليم للشخصية .

بدأت الترجمة لكتب الأطفال في سورية في وقت مبكر جداً ـ على عكس ما قيل أنها بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين ـ حيث قام رزق الله حسون بترجمة كتاب " النفثات " عام ١٨٦٧ المنقول عن الروسية لمؤلفه " إيفان كريلوف " . وهي تشبه كليلة ودمنه ، حيث ساق الكاتب حكاياته على لسان الطيور والحيوان .

تبعه جرجس شلحت في ترجمة " النخبة من أمثال فنلون " . وتجربة شلحت جاءت متقدمة كثيراً من الناحية الفنية على " النفثات " . فالشعر فيها أجمل وأسلس . والنخبة ضمت خمس حكايات نقلها نثراً وشعراً وطُبعت عام ١٩١٠ .

ثم قدم إلياس قدسي ترجمة " لافونتين " عام ١٩١٣ تحت عنوان : " نوادر و طرائف من حكايات الحيوان " .

توقفت بعدها الترجمة واكتفي باستيراد كتب الأطفال المترجمة من مصادرها الأصلية أو الأقطار العربية التي تترجمها وتوزعها على المكتبات العربية .

قدّمت بعض مؤلفات أينيد بلاتيون الإنجليزية ، ودي سيغور الفرنسية والأخوين جريم الألمانيْين وأندرسن الدانمركي وكارا ليتشن البلغاري . وهذه المبادرة لم تكتمل لأن الوزارة افتقرت إلى خطة ناظمة لترجمة أدب الأطفال . ويتضح الخلل إذا لاحظنا أن الترجمة تمت بالدرجة الأولى عن الفرنسية ثم الإنجليزية ثم الروسية ، وإهمال للغات العالمية الأخرى ، كالإسبانية والإيطالية والألمانية . وهذا يعكس علاقات الهيمنة وعدم التكافؤ السائد في العلاقات الثقافية الدولية ، ويرسخ التبعية الثقافية . وتبرز هنا قضية تحكم المترجمين في طبيعة أدب الأطفال المترجم وخصوصاً اختيار الكتب المترجمة التي تفتقر إلى التكامل في تقديم صورة سليمة لأدب الأطفال في العالم ، والتأرجح بين ترجمة الأدب الكلاسيكي وترجمة الأدب المعاصر ، وطرح مشكلة تلاؤم المختار من هذه الكتب مع الأهداف التربوية في سورية .

في نهاية الستينيات من القرن العشرين، تولت وزارة الثقافة إحياء عمليات الترجمة وجعل أدب الأطفال العالمي في متناول الطفل العربي.

أصدرت أول كتاب مترجم بعنوان: " حكايات مهاجرة ".

وفيما يلي قائمة بعدد الإصدارات حسب سنوات النشر:

١ـ ١٩٧٥ وزارة الثقافة / ٢/ .
٢ـ ١٩٧٦ وزارة الثقافة / ٢/ .
٣ـ ١٩٧٧ وزارة الثقافة / ٢/ .
٤ـ ١٩٧٨ وزارة الثقافة / ٥/ .
٥ـ ١٩٧٩ وزارة الثقافة /١٧/ (بمناسبة عام الطفل العالمي).
٦ـ ١٩٨٠ وزارة الثقافة / ١١/ ـ دار أنوار / ٧/ ـ دار الجليل / ٣/ ـ دار كرم / ١/ ـ ونشر خاص / ١/ .
٧ـ ١٩٨١وزارة الثقافة / ٨/ .
٨ـ ١٩٨٢ وزارة الثقافة / ١١/ .
٩ـ ١٩٨٣وزارة الثقافة / ٩/ـ دار كرم/ ٤/ .
١٠ـ ١٩٨٤ وزارة الثقافة/ ٥/ـ مجلة الثقافة / ١/ ـ دار المتنبي / ١/ .
١١ـ ١٩٨٥ وزارة الثقافة / ٦/ـ دار المجد / ٢/ ـ مطابع ألف باء / ١/ ـ دار طلاس / ٢/ ـ نشر خاص / ٢/ .
١٢ـ ١٩٨٦ وزارة الثقافة / ٨/ ـ دار الإيمان / ١٠/ نشر خاص / ١/ .
١٣ـ ١٩٨٧ وزارة الثقافة / ٦/ دار الحقائق / ٢٥/ اتحاد الكتاب / ١/ دار الجليل / ١/ دار طلاس / ١/ .
١٤ـ ١٩٨٨ وزارة الثقافة / ٥/ دار الحقائق / ١/ دار طلاس / ٣/ .
١٥ـ ١٩٨٩ وزارة الثقافة / ٢/ دار كرم / ١/ دار الحصاد / ١/ دار الجندي / ١/ .
١٦ـ ١٩٩٠ دار الإرشاد / ٢١/ دار المعارف / ٢١/ دار طلاس / ١/ مكتبة الطالب / ١/ دار الذاكرة / ١/ دار الفكر / ١/ .
١٧ـ ١٩٩١ وزارة الثقافة / ٤/ دار الجندي / ١/ خاص / ١/ دار الفكر / ١/ .
١٨ـ ١٩٩٢ وزارة الثقافة / ٢/ دار المعارف / ٢/ دار علاء الدين / ١/ دار طلاس / ١/ .
١٩ـ ١٩٩٣ وزارة الثقافة / ٣/ دار كرم / ٤/ دار علاء الدين / ١/ دار طلاس / ١/ دار الينابيع / ١/ خاص / ١/ .
٢٠ـ ١٩٩٤ وزارة الثقافة / ٨/ دار الإرشاد / ٨/ دار الحصاد / ١/ الطليعة الجديدة / ٢/ دار البشير / ٦/ دار ريم / ٤/ دار المتنبي / ١/ دار الجليل / ١/ دار الفكر / ١/ خاص / ٢/ .

obeikandl.com

٢١ـ ١٩٩٥ وزارة الثقافة / ٣/ دار مشرق مغرب / ١/ دار الغدير / ١/ التوجيه السياسي والإعلامي/ ١/ .
٢٢ـ ١٩٩٦ وزارة الثقافة / ٢/ خاص / ٢/ مشرق مغرب / ٤/ .
٢٣ـ ١٩٩٧ وزارة الثقافة / ٦/ علاء الدين / ١/ نوبل / ١/ المتنبي / ١/ خاص / ١/ .
٢٤ـ ١٩٩٨ وزارة الثقافة / ٢/ دار الفكر / ٢/ .
٢٥ـ ١٩٩٩ وزارة الثقافة / ١/ دار الفكر / ١/ .
٢٦ـ ٢٠٠٠ وزارة الثقافة / ٣/ علاء الدين / ١/ مكتبة نوبل / ١/ المتنبي / ١/ خاص / ١/ دار الفكر / ٣/ .
٢٧ـ ٢٠٠٢ وزارة الثقافة / ٢/ خاص / ١/ دار الفكر / ٣/ .
٢٨ـ ٢٠٠٣ وزارة الثقافة / ٣/ .
٢٩ـ ٢٠٠٤ وزارة الثقافة / ٣/ .
٣٠ـ ٢٠٠٥ وزارة الثقافة / ٣/ دار الفكر / ١/ .
٣١ـ ٢٠٠٦ دار الفكر / ٢/ + سلسلة تعليمية عن الإنجليزية .

نلاحظ تناقصًا أو تراجعًا في عدد الكتب المترجمة المنشورة في السنوات الأخيرة . ولا يمكن تفسير ذلك إلا بتقصير من المؤسسات الحكومية ودور النشر أو المترجمين . وحتمًا لذلك أسباب عديدة من أهمها العامل الاقتصادي . من جهة المترجمين ، فإن مردود تعويضات الترجمة قليلة بالإضافة لعدم توافر الكتب الأجنبية بوفرة وبأسعار معقولة ؛ مما يرهق المترجم ماديًّا .

أما بالنسبة للمؤسسات الحكومية أو الرسمية فهو تقصير غير مبرر . فوزارة الثقافة مثلاً ، وهي المعنيُّ الأول بنشر ثقافة الأطفال ، لم يكن لديها خطط للترجمة (لذلك لم تهتم بشراء الكتب وتكليف المترجمين بترجمتها) ، علمًا أن كتب الوزارة أسعارها رخيصة جدًّا قياسًا بأسعار دور النشر الخاصة ، وقياسًا بالدول المجاورة ، نظرًا لأن الدولة تدعم ماليًّا كتب وزارة الثقافة . فغايتها في النهاية ليس الربح المادي وإنما نشر الكتاب والثقافة ، ووصول منشوراتها إلى أكبر شريحة ممكنة من القراء .

وإذا ألقينا نظرة عن كثب على ما تُـرْجِمَ خلال نصف قرن نلاحظ التباين الواضح بين موضوعات الترجمة ، فمعظم الكتب المترجمة لَلأطفال هي القصص قياسًا إلى الشعر والمسرح .

{أصدرت وزارة الثقافة مجموعة شعرية واحدة مترجمة بعنوان : " الأنهار الضائعة "٢٠٠٣} .

وكذلك الأمر بالنسبة للكتب العلمية فقد صدر من عام ٢٠٠١ موسوعة واحدة ، وهي : " موسوعة الحيوان " عن دار الرشيد في سبعة أجزاء .

وموسوعة "أجنبي لماذا" (١٩٩٥)، والقاموس المصور للكلمات (١٩٩٨).

والقاموس المصور للأطفال (١٩٩٦)، والقاموس المصور للناشئة (١٩٩٧)، دار الرشيد.

والموسوعة العلمية المبسطة (١٩٩٨)، دار الكتاب العربي.

دور النشر:

إذا تناولنا ما نُشر من ترجمات للأطفال من ١٩٧٠ وحتى ٢٠٠٦ نلاحظ أن مجموع ما ترجم من عناوين بلغ ٣٠٣ كتب، كانت حصة وزارة الثقافة منها ١٢٢ عنوانًا وتوزع الباقي على ٣٠ دارًا للنشر بأرقام متفاوتة.

ووصل عدد دور النشر وحتى ٢٠٠٦ إلى ٣٦ دارًا للنشر بما فيها وزارة الثقافة (اثنتان منها متخصصتان لنشر كتب الأطفال ولكنها لم تصدر أي كتاب مترجم)، وهذا لا يعني أن الكتب المترجمة قد حققت قفزة كمية ونوعية فلم يزدد عدد الكتب المترجمة، والنوعية بقيت تراوح مكانها تقريبًا. فالتركيز بقي على الكتب الأدبية "الحكايات والقصص"، وهناك محاولات متواضعة لنشر كتب لها علاقة بالعلوم التعليمية وللأعمار المبكرة.

اعتمدت بعض دور النشر الخاصة إلى تقليد الكتب المستوردة من حيث الشكل، فخرجت كتبها بُحلَّة جميلة جذابة تشد الطفل وركزت (وهذا طبيعي لأسباب تجارية) إصدارتها على التصميمات التي تدخل في باب الألعاب، أو تعليم اللغة. ولكن كل هذا لا يأتي بالفائدة المرجوة إذا لم يكن هناك خطة شاملة ومتكاملة ضمن منظومة تعليم معينة لتحقيق الفائدة المطلوبة للطفل.

نلاحظ أن عدد الكتب العلمية أو الموسوعات والمعاجم قليل جدًّا قياسًا لباقي الإصدارات من كتب الأطفال، والتباعد في فترات النشر والإصدار. فمن سنه ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٨٥، لم يصدر أي معجم أو موسوعة أو كتاب يتناول العلوم بشكل عام. ثم بدأ صدور هذا النوع من الكتب بمعدل موسوعة كل ٣ سنوات تقريبًا ما بين إعداد وترجمة، والموسوعة الوحيدة المترجمة ضمن هذا التاريخ كانت موسوعة عن عالم الحيوان وتقع في سبعة أجزاء. ونشير هنا أن هذه الموسوعات قد صدرت عن دور نشر خاصة، هي: دار الرشيد ودار الكتاب العربي.

ومما يلاحظ على هذا النوع من الكتب أي "الموسوعات" هو تناولها لجانب العلوم فقط، أي عمل غير متكامل. وكذلك يلاحظ التفاوت في قيمة المعلومة وطريقة صياغتها من حيث (القيمة العلمية ـ مستوى اللغة ـ طريقة عرض الفكرة ـ الصور التوضيحية). وكذلك التفاوت في الطباعة والشكل الفني والإخراج باستثناء موسوعة "عالم الحيوان"، فكل ما هو موجود قبل ٢٠٠٢ يعاني من فقر في الشكل والإخراج الفني.

كما لم تهتم أية جهة حكومية أو دور النشر الخاصة بإصدار سلاسل تتناول جوانب أخرى، مثل: (الفن ـ الإعلام ـ الآثار ـ التاريخ ـ الجغرافيا . . . إلخ) والتي لا يمكن إغفال أهميتها في مكتبة الطفل العربي.

ولكي توضع ترجمة كتب الأطفال في إطارها الصحيح، عمدت الجهات المعنية بتشكيل لجان خاصة للإشراف على ما يُنشر. فمثلاً في اتحاد الكُتَّاب العرب هناك جمعية خاصة بأدب الأطفال المؤلف والمترجم. وفي وزارة الثقافة هناك لجنة للتأليف والترجمة في مديرية ثقافة الطفل، وهي لجنة متخصصة لإقرار كتب الأطفال المؤلفة والمترجمة. وتستعين أحيانًا بخبراء من خارج الوزارة لتقييم بعض الأعمال المتخصصة. وهذا ما ميز كتب الوزارة عن غيرها من حيث المضمون التربوي واللغوي، الذي يخضع لمعايير عالية في التقييم. وحاليًّا ستقوم الهيئة العامة للكتاب التي أُنشئت حديثًا في سوريا بمتابعة نشر كتاب الطفل من خلال مديرية خاصة " مديرية نشر كتاب الطفل ". وهي بصدد وضع خطة شاملة لنشر كتب الأطفال (المؤلفة أو الترجمة) بجميع الميادين، لاستدراك النقص، أو نستطيع أن نسميه الخلل، بما يُغْني مكتبة الطفل ويحقق لها التوازن العلمي والأدبي والفكري والتربوي واللغوي.

أما معظم دور النشر الخاصة، فهي تفتقر إلى هذه اللجان ويتم الاعتماد على أشخاص التقييم أعمالها وإقرارها للنشر.

الطفل والكتاب:

كما أسلفنا، فإن كتب وزارة الثقافة تُباع بأسعار رخيصة بالنسبة لدور النشر الخاصة. وذلك في إطار الهدف بإيصال الكتاب إلى أكبر عدد ممكن من الأطفال. وباعتبار المجتمع السوري مجتمعًا فتيًّا أي أكثر من نصف سكانه من الأطفال بمختلف فئاتهم العمرية. فإن تلبية حاجتهم من الكتب مكلفة وملحّة. فوزارة الثقافة كانت تطبع ٣٠٠٠ نسخة من كل عنوان للأطفال حتى عام ٢٠٠٥، حيث تم تخفيض العدد إلى ١٥٠٠ نسخة من كل عنوان يصدر للأطفال (لأسباب مالية). وهذا الرقم متواضع جدًّا ولا يلبي الطموح في إيصال الكتاب بالشكل المطلوب. ويتم تعويض هذا النقص (وهذا غير كاف) بتزويد المكتبات في المراكز الثقافية التابعة للوزارة والبالغ عددها ٤١٦مركزًا بمنشوراتها . وكل مكتبة فيها قسم خاص بكتب الأطفال. وهذه المراكز موجودة في كل محافظات القطر.

وفي كل مركز منفذ لبيع الكتب التي تصدرها الوزارة والتي تعطي حسمًا قدره ٤٠٪ من سعر الكتاب. كما تقيم الوزارة معرضًا سنويًّا تُباع فيه منشورات الوزارة بأسعار زهيدة، وقد وصل سعر كتاب الطفل إلى ٢٥ ليرة سورية، أي ما يعادل ٠,٥ دولار أو أقل. وذلك لتحقيق الفائدة لأكبر شريحة ممكنة من الأطفال.

القيم والموضوعات:

وبنظرة شاملة على الموضوعات التي تناولتها الكتب المترجمة، نجد أن معظمها يحمل قيمًا إيجابية. يمكن ترتيبها على الشكل التالي حسب نسبة تناولها:

القيم الشخصية ٤٦٪	القيم الاجتماعية ٢٨٪
القيم الأخلاقية ٩,٦٪	القيم الجمالية ٤,٧٪
القيم العلمية ٦,٧٪	قيم معرفية / علمية ١,٥٪
القيم الترويحية ١,٥٪	

وهذا يؤشر إلى عدم التوازن في اختيار منظومة القيم التي تُبنى عليها شخصية الطفل.

اللغة:

تُرجمتْ بعض كتب الأطفال عن اللغة الأصلية، وبعضها بتصرف، والبعض الآخر عن لغة وسيطة (الفرنسية أو الإنجليزية).

والترجمة عن لغة وسيطة تفقد الترجمة الكثير من العناصر الفنية واللغوية للنص المترجم. لذلك تفاوتت لغة الترجمة. فجاءت بعض النصوص ركيكة. وركاكة الترجمة تسيء إلى لغة الطفل بالدرجة الأولى. يتبعه الضعف في الصياغة الفنية والأسلوب. وهذا بدوره يسيء إلى الذائقة الفنية، ويضعف المفردات التي تثري لغة الطفل وخياله.

هذا ينطبق أيضًا على اختيار النصوص التي تُترجم. فنرى أحيانًا اختيارًا سليمًا وأحيانًا اختيارًا رديئًا وهذا يسيء إلى منظومة القيم واللغة التي تتوجه للطفل.

لذلك نحن بحاجة إلى التقييم الصحيح للأعمال التي ننوي ترجمتها، من حيث اللغة ومتانة النص واختيار القيم لتوجيه الترجمة إلى الهدف الصحيح.

ولا بد من الإشارة إلى التأثير المباشر الذي يلامس الطفل، ألا وهو البرامج الإذاعية والتليفزيونية الموجهة للأطفال وما تتركه من أثر مباشر على لغة الطفل ومفاهيمه وقيمه.

في عصر العلم والتقنيات الحديثة وثورة المعلومات والفضائيات لا شيء يستطيع تحصين الطفل العربي من هذا الغزو الثقافي، إلا إذا تم التعامل معه بعقلانية وعمل علمي مدروس. وذلك يتم بـ: الانفتاح على أدب الأمم القريبة إلى مفاهيمنا وقيمنا (الدول الأفريقية والآسيوية). وإنجاز منظومة القيم العربية التي تخلق الشخصية القادرة على التمييز والتكيف والتحلّي بالهوية الحضارية لمواجهة الغزو الثقافي. والسعي إلى تقديم أدب مترجم للطفل يحبه ويقبل على قراءته.

إن هذه المواجهة مع الغزو الثقافي لا تتم من خلال الكتاب فقط، بل من خلال الكتاب

والمجلات والتلفاز والإذاعة والمسرح. ويجب أن تتكامل العلاقة بين الأدب والتربية ووسائل الإعلام لتحقيق الغاية، وهي الوصول إلى الطفل بأفضل الأشكال الممكنة.

التوصيات المقترحة:

١- وضع خطة بعيدة الأمد لحركة الترجمة في الوطن العربي، وترتيب أهدافها في أولويات تنفذ على مراحل، ويسلَّم إلى مؤسسات الترجمة في الدول التي وافقت عليه لمباشرة تنفيذه.

٢- وضع دليل للأسس والمعايير التي يقوم عليها الكتاب الجيد للطفل لمختلف الفئات العمرية ليكون مرجعًا للمترجمين والناشرين في الوطن العربي.

٣- أن تتم الترجمة عن اللغة الأصلية.

٤- إصدار قوائم دورية ببيلوغرافية للمترجمات التي أُنجزت، أو بنك معلومات خاص بالترجمات من وإلى اللغة العربية.

٥- تأسيس جمعية أو رابطة أو اتحاد للمترجمين في كل بلد عربي.

٦- حث الإعلام للإعلان عما يُترجم والتفات النقاد إليه.

٧- التنسيق بين المؤسسات الحكومية ودور الترجمة، بحيث تتكامل وتحقق الهدف العام للترجمة. وأن تكون لدى المنظمة إحصاءات دقيقة سنوية عما ترجم وعما تنوي كل مؤسسة ترجمته.

٨- أن تشمل الاتفاقات الثقافية التي تُبرم مع الدول الأخرى بنودًا تيسر الحصول على حقوق الترجمة وفقًا للاتفاقية الدولية لليونسكو.

٩- وضع ببيلوغرافيا للمراجع الواجب توافرها حول الترجمة.

١٠- إن الهيئات والمؤسسات التي تعمل على تشجيع حركة الترجمة، ينبغي ألا تطغى على حرية الأفراد، بخصوص انتقاء الكتب التي ستترجم، ولا يجوز أن تتحول هذه المؤسسات إلى رقيب على العمل الأدبي أو العلمي، ولكن من واجب هذه المؤسسات أن تعمل على سد أية ثغرة ثقافية بحيث يتم التوازن المنشود بين مفردات المعرفة المختلفة.

والآن في عصر التحولات والانفتاح الإعلامي والثقافي، لم يعد بإمكان الوطن العربي أن يبقى بمنأى عن هذه المتغيرات. لذلك، فإن انتقاء ما يترجم إن كان للنشر أو لوسائط الإعلام المرئية والمكتوبة يجب أن يكون دقيقًا ومنتقًى بعناية شديدة ليلبي حاجة أطفالنا، وإغناء مخزونهم من العلم والثقافة، وتوجيه أطفالنا إلى تربية استقلالية تحليلية ناقدة لمواجهة الغزو الثقافي ومواكبة التقدم الحضاري والعلمي.

في النهاية، علينا السعي لإقامة منظومة للترجمة تقوم على أساس مشروع نقدي مقاوم، يعرف أن يختار في إطار من التواصل، لا في إطار الانغلاق وأفق القطيعة.